عود

الى فلسفة نيتشه

والى تأريخ رنان

منذ شرعنا والجامعة في نيو يورك في تلخيص فلسفة الفيلسوف نيتشه ظهر في فرنسا ثلاثة كتب في شأنه . الاول كتاب كتبه المسيو اميل فاكه احد اعضاء الاكاذمية الفرنسوية عنوانه (en lisant Nietszche) والثاني للمسيو دانيال هاليفي وعنوانه (حياة فردريك نيتشه) والثالث كتاب لنيتشه نفسه وهو آخر كتبه وربما كان احدّها واشدها تطرفاً وغلواً وعنوانه (ecce Homo)

وقد طالعنا الكتاب الاول بين كندا وشلالات نياغرا والثالث في اثناء اقامتنا في باريز واما الثاني فلم نطلع عليه بعد لانه ظهر في هذا الشهر . قالت جريدة الديبا في تقريظها له « مضى على مولد نيتشه ٦٥ سنة ومضى على وفاته تسع سنوات ومع ذلك فشهرته آخذة في الازدياد وتأثيره آخذ في التعاظم واليه يُعزى ردّ الفعل الذي حدث في افكار أهل أُوروبا في شأن الاشتراكية » وروت في موضع آخر ان شقيقة نيتشه مدام فورستر نيتشه اعلنت عزمها على انشاء متحف لآثاره في نفس المنزل الذي كان يعيش فيه فانهالت عليها الاموال من جميع انحاء العالم فانشأت بها المتحف وجمعت فيه جميع آثار الفيلسوف وزاد لديها من المال مبلغ كبير جعلت من فائدته خمس جوائز سنوية قدر الواحدة ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ مارك تُدفع لمن يمتاز بمعيشته بحسب مبادىء الفيلسوف اخيها اي ان يعيش مسروراً فرحاً بالحياة و يقوي نفسه و يحب ذاته ...

ومهما قيل في فلسفة نيتشه مدحاً أو ذماً — ومادحوها وذاموها كثيرون — فاننا بعد مطالعتنا خمسة من كتبه التي هي اهم ما كتبه ما زلنا نعتقد بما جهرنا به منذ سنتين يوم شرعنا لاول مرة في تلخيص فلسفته وهو ان مبادىء هذا الرجل تحتوي على كثير من الحقائق الضرورية للحياة وعلى ابناء الشرق ان يطلعوا عليها ليشددوا نفوسهم بها . ونريد بهذه المبادىء

تلك التي صب فيها المؤلف كل ما أُعطي من قوة النفس وحماستها لتحبيب الحياة والنشاط والقوة الى الناس وخلقهم بهذه الصفات خلقاً جديداً وسحق الانحطاط في النفوس والهمم والامم . كما انها تحتوي أيضاً على كثير من المبادىء التي لا نرى الآن موضعاً لها في الشرق ولا يمكن العمل بهـا في هيئة اجتماعية تُسمى هيئة اجتماعية بحسب المفهوم اليوم من هذه الكلمة . ولما كنا شرعنا في العودة الى تلخيص فلسفة هذا الفيلسوف فسنستمر في الخطة التي اتبعناها من قبل وهي ان نلخص منها كل مالا يمس الاديان والعادات الحاضرة لان غرضنا استخراج لباب القوة والحماسة من كتبه والاعراض عما بقي .

وكانت الجامعة قد شرعت ايضاً من قبل باستخراج (تاريخ اصول الديانة المسيحية) لمؤلفه الفيلسوف المستشرق ارنست رنان ونشرنا منه الجزء الاول وهو تأريخ المسيح بعد حذف ما لا يحسن نشره وبقيت اربعة اجزاء بدأنا باولها وهو تأريخ اعمال الرسل فلخصنا فيها بضعة فصول منه ثم انتقلت الجامعة الى نيو يورك ولم نعد اليه . على اننا سنشرع في اتمام هذا الكتاب الذي كنا بدأنا في تعريبه ولا يصح ترك تعريبه ناقصاً بعد الابتداء . وسنجري فيه على نفس الخطة التي اتبعناها في امثاله من الكتب التي فيها ما يُقال ومالا يُقال وما يُكتب وما لا يُكتب . اي اننا نقصد استخراج الفوائد النافعة والفلسفية والاجتماعية التي لا يمكن ان توجد في مصادر غيرها ونضرب صفحاً عما بقي مما لا يفيد احداً نشره

زاراتوسترا

وهو أبلغ كتب الفيلسوف نيتش وأجملها كتبه باسلوب رواية جعل بطلها (زاراتوسترا) الهائل

على ان ما نشرناه في ما سبق من فلسفة نيتش كان تلخيصاً لبعض مبادئه جمعناها من عدة صفحات في عدة من كتبه لنتمكن من ان نبسط للقارىء جميع جوانب نفسه . وسنستمر في هذا السبيل ولكنا نقرن تلخيص افكاره بتعريب روايته المشهورة التي سماها « هكذا قال زاراتوسترا » والتي هي ابلغ وادق ما خرج من قلمه و بعضهم يقول انها اجمل ما كتب باللغة الالمانية الا ما كتبه الشاعر المشهور جوت الذي كان معاصراً لنيتش وكان نيتش يقول عنه « انه الالماني الوحيد الذي أُحبه واحترمه » ولكن هذه الرواية دقيقة للغاية ولا يفهم رموزها ومعانيها الاّ الذي يطيل النظر فيها و يعلم اغراض المؤلف ومبادئه . وكانها

لسمو مواضيعها وغرابة آرائها وشدة وطأتها وحدّة لهجتها واحاطتها بجميع افكار البشر ومبادئهم — قصيدة متناهية في الاستطالة رأسها في اعلى السماء وطرفها الآخر في اسفل الارض نسبح بردها اله لا انسان لانه يتكلم ويكتب كمن في يده سلطة الآلهة ويحطم مبادىء البشر وكل معروف ومالوف لديهم تحطيماً دوت له الدنيا . ثم هولا يكتفي بالهدم بل يحاول البناء فيضع مكان ما حطمه مبادىء لم يقلْ بها احد قبله وقد بالغ فيها حتى قيل ان المرض الذي اصابه قبل وفاته وافضى الى اصابته باختلال الدماغ كان ذا تاثير على تلك المبادىء وسبب تلك المبالغات . ولذلك جمع بعضهم فلسفة نيتشه في قوله عنها « انها خليط من الجنون والحكمة » — والله أعلم بالمستقبل

وهذا أوان الشروع في تلخيص هـذه الرواية الغريبة التي جمعت خلاصة مبادىء الفيلسوف وأقامت العلماء وأقعدتهم في حينها وليس في عالم العلم والأدب في هذا الزمان مفكر الا واطلع عليها وفكر في مواضيعها .

تمهيد زاراتوسترا

١

« لما بلغ زاراتوسترا الثلاثين من عمره هجر وطنه وبحيرته واتجه نحو الجبل . فأقام فيه عشر سنوات يتمتع بعزلته ويخلو بنفسه دون أن يسأم العزلة والخلوة . ولكنه في ذات يوم تغير قلبه فبكر بكور الغراب واتجه نحو مشرق الشمس وطفق يخاطبها قائلاً :

« ياأيها الكوكب العظيم . ماذا كانت لذتك لولا الأشياء التي تنبسط امامك وتنيرها بنورك . لقد انقضت عشر سنوات وانت تطلع عليّ في مغارتي هـذه ولولا انك تنيرني وتنير نسري وافعاي (١) لعراك الضجر والسآمة

نحن ننتظرك في كل صباح ونأخذ منك مايفضل عنك، ونشكر لك .

ولكنني الآن قد ضجرت من عزلتي وحكمتي ضجر النحلة من عسلها اذا جمعتْ كثيراً منه . وأصبحتُ في حاجة الى ايد تنبسط الي لامنحها منحًا تجعل الحكماء من الناس يفرحون بجنونهم والفقراء سعداء بثروتهم .

ولذلك سأغوص الى الاعماق كما تفعل انت حين تغوص وراء البحار لتمحو الظلام

---

(١) سترى فيما بعد ماذا يقصد بالنسر والافعى

بنورك . اني سائر مثلك (لأغيب) في وسط الناس الذين انا هابط اليهم

فبارك فيّ ياصاحب العين الساكنة التي ترى سعادة من لاحدّ لسعادته ولا يعروها الحسد .

بارك في الكأس التي ستفيض . وفي الماء الفضي (١) الذي سيجري منها حاملا للبشر جمال مسرّاتك .

ان هذه الكاس تبغي الفيضان ثانية . وزارتوستره يرغب في ان يعود انسانًا »

وهكذا بدأ انحطاط زاراتوسترا

٢

فهبط زاراتوسترا من الجبال ولم يلقَ في هبوطه احدًا . ولكنه ما بلغ الغابات حتى راى امامه شيخًا كان يأوي الى كوخه المقدس في الغاب وخرج في طلب اصول الاشجار . فقال هذا الشيخ

« اتذكر انني رأيت من قبل هذا المسافر . فقد انقضت عليه اعوام وهو يمرّ في هذا المكان . وكان اسمه زاراتوسترا ولكني اراه قد تغير

وقد كنتَ من قبل تحمل الرماد الى الجبال فهل بدا لك اليوم ان تحمل النار الى الاودية والمدن . الا تخشى عقاب موقدي النار

نعم هذا زاراتوسترا . ولكن ليس في شفته ما كان فيها من تقلص الاشمئزاز . هذا هو ولكنه قد تغير واصبح طفلا . بل انتبه وافاق . فما جئت تفعل الآن بين النيام ؟ لقد كنت تعيش في عزلة تامة كما يعيش المرء في وسط البحر وكانت مياه هذا البحر تحملك فالويل لك اتريد الآن الوصول الى الشاطئ؟ الا تخشى ان يترضض جسمك على صخوره

فاجابه زاراتوسترا « انني احب البشر »

فقال الشيخ الحكيم « لم اتبطن الغابات واختار العزلة فيها الاّ لانني احببتهم حبًا شديداً . فحبهم هو الذي قادني الى هنا . اما الآن فانني احب الله ولا احب البشر لان حب البشر قتال . وما الانسان عندي الا كائن شديد النقص

---

(١) في الاصل (الذهبي) ولكن لفظ (الفضي) اقرب الى اللغة العربية . وغني عن البيان اننا نلخص الكتاب تلخيصًا ملتزمين الاصل ما امكن الالتزام

فقال زاراتوسترا: « ماجئت لاحبهم ولكنني جئت لامنحهم منحة »

فقال الشيخ الحكيم لاتمنحهم شيئاً بل اسلبهم شيئاً وساعدهم على حمله . وهذا انفع الامور لهم . على شرط ان ذلك ينفعك ايضاً . واذا شئت منحهم شيئاً فتصدق عليهم قليلاً ولا تعطهم الا اذا سألوك

فقال زاراتوسترا . كلا لا اتصدق على أحد لانني لست فقيراً الى هذا الحد

فاخذ الشيخ يضحك من زاراتوسترا ثم قال : فابذل جهدك اذاً في ان تجعلهم يقبلون كنوزك لانهم لا يركنون الى المعتزلين المنقطعين ولا يصدقون اننا اذا قصدناهم نقصدهم لاعطائهم شيئاً . وان وقع قدميّ المعتزل المنقطع يدوي في آذانهم دوياً غريباً . فمثلهم في هذا مثل الراقد في فراشه و يسمع في الشارع قبيل الصباح وقع اقدام في الطريق فيتساءل اين ذاهب هذا اللص — ذلك لانه يظن كل معتزل مبكر لصاً

فلا تذهب الى الناس واستمر مقيماً في الغاب . بل اذهب الى الوحوش واصحبها ولا تذهب الى الناس . لماذا لا تفعل فعلي فتكون حيواناً بين الحيوانات وطائراً بين الطيور

فقال زاراتوسترا . وما تفعل ايها القديس في الغابات

فاجاب الحكيم . انني اصنف اناشيد وانشدها وفي اثناء نشيدها اضحك وابكي واسر النجوى واجهر . و بذلك احمد الله واشكره . ولكن اخبرني ماهي المنحة التي حئتنا بها

فلما سمع زاراتوستره كلام الشيخ القى عليه تحية الوداع وقال « ماذا ينتظر مثلك من مثلي ؟ ارى الاولى بك ان تتركني انطلق في سبيلي على عجل لئلا اسلبك شيئاً بدل ان اعطيك »

وهكذا افترق الاثنان وهما يضحكان احدهما من الاخر ضحك الاطفال

ولما اصبح زاراتوسترا منفرداً قال في نفسه وهو سائر في سبيله « اهذا ممكن ؟ كيف لم يسمع بعدُ هذا الشيخ القديس في غابه ان ذلك المبدأ قد مات »

(ستأتي البقية اذ تنشر في كل جزء بلى ٦ او ٨ صفحات من هذا الكتاب)

رواية مريم قبل التوبة

لم ننشر تتمة هذه الرواية في بدء هذه السنة لرغبتنا في ان نبدأ السنة برواية جديدة يقرأها قراؤنا القدماء ومن جدّ منهم . ولذلك سننشر في الجامعة رواية جديدة . اما (مريم قبل التوبة) فسنتم طبعها على حدة ونعلن ذلك حين فراغنا منه